سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس الـثامن عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثامن عشر

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[العلق]، ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾[الشعراء]، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة:١٠٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[الرَّعد]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل]. وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾﴾[الطارق].

[الحمد لله] والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه.

أما بعد، فبالنسبة لدرس «شرح زاد المستقنع» رؤي في هٰذه المدة المقبلة التي هي أربعة أسابيع أن يكون يوما واحدا وهو يوم الثلاثاء ويستمر إلىٰ الإقامة؛ لأجل رعاية أحوال كثير من الإخوان بالنسبة للإختبارات وما شابه ذلك، ووفقنا في الزاد علىٰ (علىٰ صفة الغسل..) لمن يريد أن يحفظ تراجعون نبدأ من هٰذا إن شاء الله تعالىٰ يوم الثلاثاء.

أما ما سمعتم من الآيات العظيمة التي ساقها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهي من جنس الآيات السالفة قبلها التي استدل بها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ إثبات الصفات.

فهٰذه الآيات وأمثالها مما يؤمِن بها أهل السنة والجماعة، ومعنىٰ إيمانهم بها كما سبق أن أوضحناه مرارا أنهم يعتقدون ما جاء فيها من الصفات، ويثبتون ذلك لله جل وعلا بألسنتهم، ويقوم في قلوبهم أثر تلك الصفات، هٰذا معنىٰ الإيمان بالصفة، والواجب منها اعتقاد ذلك بعد بلوغ الخبر بالمسلم.

فنؤمن بأن الله جل وعلا متَّصِفٌ بكل صفة وصف بها نفسه في كتابه أو وصفه بها رسوله ﷺ، ونخبر بذلك، وإذا كان للصِّفة أثر علىٰ العبد فإنه يؤمن، ومعنىٰ ذلك يعمل بذلك الأثر.

ذكر الآيات التي فيها وصف الله جل وعلا برؤيته لخلقه ولعباده، والرؤية، رؤية الله جل وعلا لعباده ثبتت في نصوص كثيرة بلفظ الرؤية كقوله جل وعلا لموسىٰ وهارون حين قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ ففيها إثبات صفة المعية لله جل وعلا وصفة السمع، صفة المعية يأتي الكلام عليها، سنعرض لبعض الكلام بما يوضح المراد من الآية، وصفة السمع سبق الكلام عليها في الآيات السابقة.

والمقصود من استدلاله هاهنا هي صفة رؤية الله جل وعلا لعباده، يعني أن الله جل وعلا يرىٰ عباده ويبصر ما هم عليه، ونحو هٰذا قوله جل وعلا: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، ومثله قوله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ ففي هٰذه الآيات إثبات أن الله جل وعلا يرىٰ عباده، يرىٰ خلقه جميعًا، يراهم ويُبصر تصرفاتهم، يرىٰ أحوالهم وما هم عليه، فيرىٰ كل شيء، ومتعلق الرؤية هو متعلق البصر لله جل وعلا، وذلك أنها

متعلقة بكل مرئي، كما أن سمع الله جل وعلا متعلق بكل مسموع كذلك الرؤية متعلَّقها كل مرئي، فالله جل وعلا يرىٰ كل مرئي، يعني يرىٰ كل موجود، كل شيء يراه جل وعلا علىٰ ما هو عليه، سواءً كان ذلك الشيء صغيرا أو كبيرا، خفيا أم غير خفي، ظاهرا أم باطنا، يراه جل وعلا إذا كان من الذوات التي تُرىٰ، وهٰذا من جنس البصر، فإن الله جل وعلا بصير، ومتعلَّق البصر المبصرات، فهو جل وعلا بصير بكل شيء يُبصَر يعني بكل الموجودات، فلا تغيب عنه غائبة جل وعلا في السماء ولا في الأرض ولا تخفىٰ عليه خافية؛ بل هو جل وعلا يعلم كل شيء، ويُبصر ويرىٰ كل شيء ويسمع كل الأصوات ﷻ.

قال جل وعلا في آية سورة طه لموسىٰ ولأخيه هارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ وهٰذه الآية فيها إثبات ثلاث صفات لله جل وعلا:

- الأولىٰ هي المعية.
- والثانية هي السمع.
- والثالثة هي الرؤية.

وهٰذه الرؤية، رؤية الله جل وعلا لخلقه، هٰذه غير صفة الرؤية التي هي رؤية الله جل وعلا في الآخرة، يعني رؤية العباد ربَّهم جل وعلا في الآخرة هٰذه غير تلك، تلك العباد يرون ربَّهم، ورؤية الله واقعة في الآخرة، أمَّا هٰذا المقام فالمراد به وصف الله جل وعلا بأنه يرىٰ كلَّ شيء، فهو الرائي جل وعلا وفي تلك الصفة هو المرئي جل وعلا، ففرق بين البحثين، وفرق بين المقامين.

قال جل وعلا هنا: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ يعني بالنصر والتأييد والتَّوفيق والإعانة والدفاع عنكما، وهٰذا هو الذي فسرها به المحققون من أهل التفسير هاهنا.

﴿مَعَكُمَآ﴾ التي هي المعية الخاصة؛ معية النصر والتأييد والتوفيق، وذلك لأنها جاءت في مقابلة خوفهم ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ فمعيته هنا خاصة تنفي الخوف وتزيل الخوف من قلب موسىٰ وهارون لما أرسلهما الله جل وعلا إلىٰ فرعون وملئه.

قال الله جل وعلا هنا: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ فلا تخافا من بطشه فأنا معكم بنصري، ولا تخافا من إيذائه فأنا معكم بنصري وتأييدي، ولا تخافا من حججه فأنا أنبئكما بما يدلي به من الحجج وما يُرَد به عليه، ولهٰذا كلام موسىٰ عليه السلام الذي حج به فرعون من الحجج والبينات التي أوتيها موسىٰ عليه السلام من الله جل وعلا، فهي من آثار معية الله جل وعلا لموسىٰ ولأخيه هارون، حيث قال فرعون لموسىٰ وهارون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾[طه] فأجابه موسىٰ عليه السلام ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾[طه]، فسأله فرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾﴾[طه]، فأجاب موسىٰ: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾[طه] وهٰذا التوفيق لهٰذه الأجوبة العظيمة، وكذلك ما جاء في سورة الشعراء من أجوبة موسىٰ علىٰ فرعون حيث قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾[الشعراء] إلىٰ آخر ما جاء في أجوبة موسىٰ علىٰ فرعون، هٰذا كله من آثار معية الله جل وعلا لموسىٰ.

فإن معية الله الخاصة لعباده المؤمنين للرسل لأهل الصلاح لأهل العلم هٰذه المعية الخاصة معناها التوفيق والتأييد والإعانة والنصرة علىٰ أعدائهم.

لهٰذا قال جل وعلا في سورة براءة حينما أخبر عن هجرة النبي ﷺ وما كان من شأنه في الغار قال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] يعني ﴿مَعَنَا﴾ بنصره وتأييده وتوفيقه ومن كان الله معه فالخوف منه بعيد والأذىٰ عنه بمراحل.

أما المعية العامة فهي الإحاطة العامة، معية العلم كما فسرها السلف، ويأتي تفصيل الكلام علىٰ المعية في موضعه حين يأتي استدلال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [**الحديد:٤**]، وكذلك ما ساقه بعد ذلك حيث قال: (وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾)إلىٰ أن قال: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾[**المجادلة:٧**] إلىٰ آخر الآيات في ذلك والأحاديث التي ستأتي مبينة في موضعها.

إذن فالمعية معيتان:

- معية عامة.
- ومعية خاصة.

ومعنىٰ المعية العامة العلم.

ومعنىٰ المعية الخاصة التي هي خاصة بأولياء الله بالرسل والأنبياء والعلماء المستقيمين وبالصالحين والعباد هٰذه معية توفيق ونصرة وتأييد.

قال هنا جل وعلا: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، ومعنىٰ ﴿أَسْمَعُ﴾ يعني أسمع ما يقوله فرعون، وألهمكم الجواب عليه، ﴿وَأَرَىٰ﴾ مكانه ومكانكم، أرىٰ عمله وعملكم، أرىٰ ما يخفيه عنكم مما قد يَكيدكم به أو قد يؤذيكم به فأخبركم به حتىٰ تكونوا في أمان من ذلك. ﴿لَا تَخَافَآ﴾ فإن جهات الخوف متنوعة، قد يكون الخوف من الحجج التي يدلي بها فرعون، قد يكون الخوف مما يَمكر به، الخوف من إيذائه، الخوف من تحذيره ونحو ذلك، والله جل وعلا مع موسىٰ ومع فرعون يسمع مقالهم ومقاله، ويسمع كلامَه وكلامهما ويُلهم الله جل وعلا موسىٰ بالحجة، ففيه إثبات الرؤية لله جل وعلا: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾.

كذلك قوله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾، ﴿يَرَىٰكَ﴾ هٰذا من الرؤية التي هي إبصار الله جل وعلا لعبده، ﴿يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يعني إلىٰ الصَّلاة أو حين تقوم في أي شأن من شؤونك، ويرىٰ أيضا ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ في المصلين، ففيها إثبات رؤية الله جل وعلا لعبده.

كذلك قوله جل وعلا: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ هٰذه فيها إثبات الرؤية لله جل وعلا.

وإذا تبين ذلك، فهٰذه الآيات وغيرها من الآيات التي فيها إثبات هٰذه الصفة لله جل وعلا نعتقد ما دلت

عليه من أن الله جل وعلا يرىٰ عباده، ويراهم جل وعلا ويُبصرهم بعينيه جل وعلا ليست رؤية وإبصار علم كما يقوله المبتدعة، بل هي رؤية وإبصار بعينه جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا أخبر بأن له عينين جل وعلا، والعين بها تكون الرؤية وبها يكون البصر.

وأما المبتدعة فيتأولون، أن الرؤية والبصر يثبتها الأشاعرة والماتريدية، ويقولون: هي رؤيا وبصر سبيلها العلم، يعني هو يرىٰ ليس بعينيه جل وعلا؛ لأنهم لا يثبتون العينين لله جل وعلا، ولكن يكون رؤيا وسمع وبصر بإدراك تلك الأشياء عن طريق العلم، إدراك المبصرات بالعلم، إدراك المسموعات بالعلم، إدراك المرئيات بالعلم، فالمعتزلة كما تعلمون ينفون ذلك كله، ولا يثبتون رؤية ولا بصرا ولا سمعا، وكذلك لا يثبتون علما هو صفة وإنما يقولون: هو عليم بلا علم.

في قوله جل وعلا: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾، ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾ هٰذا لمفسري السلف فيه وجهان:

منهم من يقول: هٰذا إخبار بأن العمل سيراه الجميع.

ومنهم من يقول هٰذا تهديد وتخويف للذين يعصون الله جل وعلا.

وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾ يعني – كما فسرها ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ–: وقل اعملوا من الطاعات ما تشاؤون، وقل اعملوا من الخيرات ما تشاءون، وقل اعملوا مما يقربكم إلىٰ الله جل وعلا ما تحبون، ومن ذلك التوبة؛ لأنها سيقت بعد الكلام عن التائبين، ووعدهم بأنه سيرىٰ عملهم قال: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فهنا في قوله: ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إما أن تكون هٰذه الرؤية في الدنيا، وإما أن تكون في الآخرة، وهما وجهان أيضًا عند محققي التفسير، فإذا كانت في الدنيا ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ في الدنيا؛ يعني سيظهر الله عملكم في هٰذه الدنيا، وقد جاء في الحديث رواه الإمام أحمد لكن ما يحضرني الحكم عليه قال: «لو عمل العامل» بمعنىٰ الحديث «أنه لو عمل في مكان مغلق وقد أوصد عليه الباب لأخرج الله عمله كائنا ما كان» وبه فسرت ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ أي فسيظهر الله عملكم حتىٰ يكون مرئيا؛ لأن الله جل وعلا مطَّلع علىٰ كل شيء ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾.

وقال آخرون هنا: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ يعني إذا وقع، إذا فعلتموه فإن الله جل وعلا يراه، وهٰذا فيه البشرىٰ للعبد بأنه إذا عمل العبد العمل ويعلم أن الله جل وعلا يراه وهو مطلع علىٰ عمله فإنه ينشرح صدره لذلك ويُقبل علىٰ العبادة أكثر لما في قلبه من تعظيم الله جل وعلا.

وهٰذا الثاني أوْجه لأن قوله: ﴿ فَسَيَرَى ﴾ أن الرؤية تكون بعد وقوع المرئي، وليس سبيلها سبيل العلم في نحو قوله جل وعلا: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[البقرة:١٤٣] العلم يختلف؛ لأن الله جل وعلا يعلم الأشياء قبل وقوعها لذلك فسر قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ أي: إلا ليظهر علمنا بمن اتبع الرسول ممن انقلب علىٰ عقبيه.

أما قوله: ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ فإن الرؤية عند أهل السنة رؤية الله جل وعلا تكون بعد حصول المرئي، ولهٰذا فيكون هٰذا التفسير أوجه وأحسن، فيكون ﴿ فَسَيَرَى ﴾ يعني بعد حصول العمل، فإن الله يرىٰ ذلك بعد حصول العمل وفي هٰذا من البشرىٰ والاطمئنان لأهل الإيمان إذا عملوا الصالحات ما فيه.

كذلك فيه التهديد والوعيد لمن عملا عملا من الأعمال التي لا يحبها الله جل وعلا فقال: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾ وسيراه ﴿رَسُولُهُ ﴾ وسيراه ﴿ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ولا شك أن العبد يخفي عمله القبيح ولا يحب أن يظهر وفي هٰذا من التهديد والوعيد لمن عملوا بالمعاصي والآثام وما لا يرضي الله جل وعلا في الخلوات فإن هٰذا فيه تهديد لهم وتخويف من ذلك، ووجه مناسبة ذلك أنه ذكر بعد أن ذكر التائبين حيث قال جل وعلا قبلها: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة:١٠٢]، وقال بعدها: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ ﴾ [التوبة:١٠٦] فهي في التائبين الذين خلطوا هٰذا وهٰذا، وهم مرجون لأمر الله.

فيناسب هنا أن تكون الآية فيها البشرىٰ وفيها التهديد والوعيد، البشرىٰ لمن عمل عملا صالحا، والتهديد والوعيد لمن عمل غير ذلك.

أما قوله جل وعلا بالمناسبة في آية البقرة ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[البقرة:١٤٣]. قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ لما ذكرناها، هٰذه فيها أوجه من التفسير، ونذكر من ذلك وجهين:

أحدهما: لابن جرير.

والآخر: للمحققين كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ قال: ﴿لِنَعۡلَمَ ﴾ أضاف الله جل وعلا العلم لنفسه، وذلك لأنه أراد (إلا ليعلم رسولي وأوليائي والمؤمنون) وذلك أن الله جل وعلا جمع هنا ونسبه لنفسه كما ينسب العظيم الشيء لنفسه وإن لم يباشره، ومثَّل عليه بقول القائل: (فتح عمر سواد العراق) و (فتح عمر فارس) يعني فتحه بجنوده، واستشهد لذلك، واستدل عليه بالحديث المعروف الذي رواه مسلم – لكن طبعا ابن جرير لا يعزو لمسلم – قال الله: «يا عبدي مرضت فلم تعدني واستقرضتك ولم تقرضني قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال ألم تعلم أن عبدي فلان مرض فلم تعده ولو عدته لوجدتني عنده» ساق بعض هٰذا باللفظ الذي يرويه ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: هٰذا فيه أن الله جل وعلا أضاف الفعل لنفسه قال: «مرضت فلم تعدني»، «مرضت» والذي مرض هو عبده، فيكون المعنىٰ في قوله: ﴿ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي إلا ليعلم رسولي وأوليائي والمؤمنون ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾.

والوجه الثاني: أن العلم قسمان:

- علم باطن.
- وعلم ظاهر.

والله جل وعلا يعلم الأشياء قبل وقوعها؛ ولكن علمه بالأشياء قبل وقوعها لا يحاسِب عليه العباد، ولا يذم العباد به، وإنما يحاسب العباد فيجزيهم علىٰ أعمالهم فيُثيب المحسن ويعاقب المسيء إذا عمِلوا ذلك ظاهرا، وصار علمه ظاهرا، لأنه قبل أن يعملوه فليس من العدْل أن يحاسبهم علىٰ شيء لم يعملوه.

فلهٰذا قال جل وعلا: ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ قال المحققون: يعني إلا ليظهر ما علمناه، فيترتب علىٰ ظهور العلم المحاسبة لهم، وجزاء المحسن الذي اتبع الرسول وجزاء المذنب المسيء المنافق الذي انقلب علىٰ عقبيه.

وهٰذا هو قول جمع من المحققين كشيخ الإسلام وغيره، العلم هنا بمعنىٰ الظهور ظهور العلم ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ يعني إلا ليظهر علمنا في هؤلاء وهٰذا في المواضع التي في القرآن التي فيها إضافة العلم إلىٰ الله جل وعلا بالأمور بعد وقوعها، ليس المراد أنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها بل هو جل وعلا يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وإنما المراد بقوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ ونظائر ذلك مراده إلا ليظهر علمنا فيهم ذلك الظهور الذي يكون عليه المحاسبة والجزاء علىٰ ما عملوا.

هٰذه بعض ما يتَّصل بهٰذه الآيات التي استدلَّ بها شيخ الإسلام علىٰ صفة رؤية الله جل وعلا لعباده التي هي معنىٰ البصر، الله جل وعلا البصير، ويبصر ويرىٰ عباده لا يخفىٰ عليه خافية.

لكن لم يأت من أسماء الله جل وعلا الرَّائي، الذي يرىٰ، الرائي بمعنىٰ الذي يرىٰ وإنما أتىٰ البصير، فيسمع ويُبصر ويرىٰ، يبصر ويرىٰ، الاسم منهما البصير هو جل وعلا، ولم يُشتق منها الرائي لأنها لم ترد في النصوص.

الآيات بعدها في ذكر **صفة الكيد والمكر** بمن كاد ومكر أولياء الله جل وعلا، هٰذه الصفة يثبتها أهل السنة والجماعة مقيدة مختصّة، وهٰذه الآيات تدل علىٰ ذلك، وهي قوله جل وعلا: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ [النحل]، وكذلك قوله جل وعلا: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ ففيها إثبات هٰذه الصفة: صفة المكر والكيد لله جل وعلا إثباتا مقيدا مختصا، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

فقوله جل وعلا: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾، ﴿ٱلْمِحَالِ ﴾ فُسِّرت بعدة تفسيرات ومنها الكيد والمكر؛ يعني وهو شديد الكيد والمكر بمن كاد أولياءه أو بمن مكر أولياءه..[1].

(١)هنا توقف تسجيل الدرس، أما ما بعده في التسجيل فهو تابع للدرس الذي بعده،،